

ألف حكاية وحكاية (١٥)

جرس الإنذار

وحكايات أخرى

يروئها

يعقوب الشارونى



مكتبة مصر
٣ شارع كامل مصطفى
الغزالة - القاهرة

رسوم
عبد الرحمن بكر

جرسُ الإنذار

فى مدخلِ أحدِ الموانى، كانتُ هناكُ صخرةٌ كبيرةٌ وسطَ
المياهِ، معلقٌ فوقها جرسٌ كبيرٌ، يدقُّ كلما هبَّتِ الرياحُ وحركتهُ،
لتعرفَ السفنُ مكانَ الصخرةِ، فتبتعدَ عنها.

وحدثَ أنَّ بحارًا كانَ يتنزّهُ يومًا على تلكَ الصخرةِ، وشاهدَ
لافتةً مكتوبًا عليها: "ممنوعُ الاقترابُ من الجرسِ، لأنه قديمٌ." لكنَّ
البحارَ تصوّرَ أنه سيكونَ شيئًا مسليًا أن يتسلقَ إلى الجرسِ الضخمِ.
وكانتِ النتيجةُ أن سقطَ الجرسُ، وتحطّمَ.

وبعدَ عدّةِ أشهرٍ، كانتُ سفينةٌ تدخلُ الميناءَ ليلاً أثناءَ عاصفةٍ
ثائرةٍ، فدفعتها الرياحُ ناحيةَ الصخرةِ، ولم يكنْ هناكُ جرسٌ لينبّهَ
الربانَ، فاصطدمتِ السفينةُ بالصخرةِ، وتحطّمتْ، وغرقَ كلُّ مَنْ فيها.
وكانَ من بينِ مَنْ غرقوا، ذلكَ البحارُ الذى استهانَ بالتحذيرِ،
وحطّمَ جرسَ الإنذارِ.





إنقاذ من الغرق

كان الحجاجُ - حاكمُ العراقِ القويُّ القاسيُ في القرنِ الأولِ
الهجريِّ - يسبحُ ذاتَ يومٍ في النهرِ، وأرادَ أن يذهبَ بعيداً عن
الشاطئِ، فأحسَّ بالتعبِ، وبدأ يغرقُ.

ورآه رجلٌ، فقاذَ بنفسِهِ إلى الماءِ، وظلَّ يسبحُ حتَّى وصلَ إليه،
وعادَ به إلى الشاطئِ. وكان هذا الرَّجلُ معروفاً بكراهيَّتِهِ للحجاجِ،
فدهشَ الحجاجُ، وقالَ للرجلِ:

"هل تعرفُ مَنْ أنا؟"

قالَ الرجلُ:

"نعم .. أنتَ الحجاجُ."

قالَ الحجاجُ:

"لكنَّهم زَعَمُوا أنَّكَ تبغضُنِي .."

قالَ الرجلُ:

"صدقوا واللهِ!"



فَزَادَتْ دَهْشَةُ الْحَجَّاجِ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ:

"فَلِمَاذَا لَمْ تَتْرَكْنِي أُغْرَقُ؟!"

قَالَ الرَّجُلُ الَّذِي دَفَعْتَهُ شَهَامَتُهُ إِلَى إِنْقَاذِ الْحَجَّاجِ:

"وَاللَّهِ مَا أَنْقَذْتُكَ رَغْبَةً فِي إِنْقَاذِكَ، لَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ

شَهِيدًا، فَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ!!"



الدجاجة والنسر

رفعت دجاجة رأسها، فرأت طائراً يحلقُ عاليًا في السماء، وظلَّ يرتفعُ حتى اختفى بين الغمام.

سألت الدجاجة بلبلًا كان يقفُ بجوارها: "مَنْ هذا الطائرُ الذي يطيرُ إلى كلِّ هذا الارتفاع؟"
أجابها البلبلُ: "إنه النسرُ."

هزَّت الدجاجة رأسها بالنفي قائلةً: "مستحيلٌ.. لقد رأيتُ النسرَ بعيني في السنة الماضية.. إنه لا يعرفُ كيف يطيرُ.. يتدربُ على الطيران، وما إن يبدأ محاولته، حتى يسقطُ إلى الأرضِ ضعيفًا مسكينًا."

قال البلبلُ: "كيف تنظرين إلى الأمور اليوم بعينِ الأمس؟! لماذا لا تضعين في اعتباركِ أن هذا النسرُ قد أجادَ الطيران الآن؟! لقد أصبح اليومَ أمهرَ الطيورِ تحليقًا."

أصرتِ الدجاجةُ على عدم تصديقِ كلامِ البلبلِ، بل اتَّهمتهُ بأنه أبلهٌ، صغيرُ العقلِ.

وعندما انقضى ذلك النسرُ على الدجاجة، وحملها بين مخالبه إلى عشِّه العالى، شعرتْ بالرعبِ أكثرَ مما شعرتْ بالدهشة، ولم تستطعْ إنكارَ الحقيقةِ التي استنكرتها عندما سمعتها من البلبلِ، لكنَّ الوقتَ قد فاتَ لتستفيدَ بما عرفتُ.



شباب القلب

حكى كاتبُ فرنسا الكبيرُ "أندريه مورا"، أنه كان يقضى الصيفَ ذاتَ مرَّةٍ في إحدى مناطقِ سويسرا المشهورةِ برياضةِ الانزلاقِ على الجليدِ، ورأى رجلاً اقتربَ عمرُهُ من الثَّمانينَ، يبدأ رِياضَتَهُ للترَّحُّلُ على الجليدِ في الصُّباحِ، ويستمرُّ في تلكِ الرِّياضةِ الشَّاقةِ العنيفةِ حتَّى المساءِ.

سألَ الكاتبُ زوجةَ الرَّجلِ العجوزِ قائلاً:
"ألا تعتقدين أن هذه الرِّياضةَ تُؤدِّي إلى إرهابِ زوجكِ إرهاباً شديداً؟".

قالتِ الزَّوجةُ:

"إنها تُرهِّقُهُ، لكنَّهُ يتمنَّى أن يصبحَ من أبطالِ الانزلاقِ قبلَ أن يموتَ".





جحا يعمل بالنصيحة

يُحكى أنه كان يوجدُ في إحدى القرى عمدةٌ ظالمٌ، إذا جاءَ إليه مذنِبٌ وأعطاهُ هديةً ثمينةً، خرجَ من عندهُ بريئاً. وإذا جاءَ إليه فقيرٌ وله حقٌّ عندَ آخرٍ، خرجَ من عندهُ مذنِياً ومحكوماً عليه !!
وكان جحا يعيشُ في تلك القرية، ويحبُّ أهلها الفقراءَ، فلم تعجبهُ تلك التصرفاتُ.

ذهبَ جحا إلى العمدة، وهو يرتدى ثياباً فاخرةً. وعندما رآه العمدةُ انبهر بهذه الثياب. وعلى الفور، خلعَ جحا الرداءَ، ووضعهُ على كتفي العمدة، وقالَ له:



"جنتُ إليك يا سيدي طلبًا للنصيحة. كان عندي عبدٌ أَرعاه،
واليومَ تركني وذهبَ إلى غيري، فماذا أفعل؟".
قال العمدة: "هذا أمرٌ بسيطٌ، ابحثْ عن عبدك وعاقِبْهُ. اجلِدْهُ
دونَ رحمةٍ، حتى لا يتركك مرةً أخرى!"
هنا أخرجَ جحا سوطًا كان معه، وانهالَ على العمدة ضربًا،
والعمدة يصرخُ ويستغيثُ، فقال له جحا:
"ماذا بك يا سيدي العمدة؟! إنني أنفذُ حكمك. فهذا الرداءُ
كان عبيدِي الذي يخدمُنِي، وقد تركني وذهبَ على كتفَيْك، وأنا
أجازيه على خيانتِهِ!!"
هنا أسرعَ العمدة، وخلعَ الرداءَ، وألقاهُ على الأرضِ، فأخذهُ
جحا، وأسرعَ يختفي بعيدًا عن غضبِ العمدة وانتقامِهِ!!



الفأرة والثعبان

يُحكى أن فأرةً كانت تعيش في جحرٍ متسعٍ، تحفظ فيه جميع أنواع الحبوب والفواكه التي كانت تجمعها من بستانٍ مجاورٍ. وذات يومٍ، خرجت الفأرة للتنزه، فمرَّ ثعبانٌ بجوار مسكنها، فأعجبته، فدخل إليه واستوطنه.





فلما رجعت الفأرة إلى بيتها، وجدت الثعبان فيه، ورأت أنها لن
تستطيع مقاومته بنفسها، ففكرت في حيلة لإخراجه. فراقبته إلى أن
خرج ذات يوم اشتد فيه الحر، ونام بجوار جذع شجرة. وأسرع
الفأرة تجرى هنا وهناك، فوجدت البستاني ينام في الظل، فظلت
تنوَّابُ على وجهه، حتى قام غاضباً، وانطلق يطاردُها، وهي تجرى
أمامه، حتى أتت به إلى الثعبان.

وعندما رأى البستاني الثعبان، نسي الفأرة، وقتل الثعبان، وعادت
الفأرة إلى جحرها سعيدة مطمئنة.

البداية من جديد

فى ديسمبر سنة ١٩١٤م اشتعلت النيران فى المصانع الواسعة
التي أقامها المخترع الكبير "توماس إديسون". وفقد إديسون فى ليلةٍ
واحدة أجهزةً تبلغ قيمتها حوالى مليون جنيه، وراح أكثر ما سجله
فى حياته من اكتشافات ضحيةً للنيران.
وأسرع ابنُ إديسون يجرى باحثًا عن أبيه، حتى وجدَهُ يقفُ
بالقرب من النيران، وقد احمرَّ وجهه فى وهج النيران، وتطاير شعره
الأبيضُ مع رياح الشتاء.





وقال الابنُ بعد ذلك: "كان قلبي يتمزّق من أجل أبي، فهو لم
بعدُ شابًا، وقد دمرَ الحريقُ كلَّ ما يملكُ."
ورآني أبي، فصاح قائلاً: "أين أمك؟ ابحثُ عنها وأحضرها إلي
هنا، فهي لن تشهدَ شيئاً كهذا مرّةً أخرى في حياتها."
وفي صباحِ اليومِ التّالي، انطلق إدیسون الّذي يبلغُ السّابعةَ
والستينَ من عمره، يطوفُ بالرّمادِ الّذي تخلفَ عن احتراقِ كثيرٍ من
آمالِهِ وأحلامِهِ، ثمَّ قالَ: "إنَّ لهذهِ الكارثةِ قيمةً كبرى، فإنّنا نستطيعُ
أنْ نعيدَ بناءَ كلِّ شيءٍ، معَ تجنُّبِ كلِّ ما سبقَ أنْ وقعنا فيه من
أخطاءٍ. وإنّي أشكرُ اللهَ، لأنّنا نستطيعُ أنْ نبدأَ من جديدٍ."

تنكر

اشترى الممثل الكوميدي المشهور كلباً صغيراً ضئيل الحجم.
وبينما كان يسير يوماً في الشارع والكلب إلى جواره، اقتربت منه
سيدة عجوز وقالت له: "أى نوع من الكلاب هذا الكلب؟"
فابتسم الممثل وقال: "إنه كلب بوليسى".
فنظرت السيدة فى دهشة وقالت: "إن شكله لا يدل أبداً على
أنه كلب بوليسى".

فوضع الممثل أصبعه على شفتيه، وتلفت حوله فى حذر، وأشار
إلى السيدة أن تقترب إليه، ثم همس فى أذنيها قائلاً:
"إنه لا يحب أن يظهر فى شكل الكلب البوليسى، فهو يعمل فى
البوليس السرى!!"



بعض قصص هذه المجموعة تم اختيارها وإعادة
صياغتها، من الأدب الشعبى، والغربى القديم، والعالمى.